

## الفقر ! انعكاساته على التنمية البشرية في الجزائر

جامعة بومرداس

د.حوشين كمال

### الملخص

يعتبر الغذاء شرطا أساسيا من شروط بقاء الكائن البشري، لكن ذلك البقاء مرهون بدرجة كبيرة جدا بتأمين قضية الغذاء لفترات محدودة من الزمن، حيث العالم اليوم يواجه مشكلة الجوع وسوء التغذية منذ سنوات عديدة، تتفاقم على إثرها ظاهرة الفقر من عقد لآخر، واستمرار الفقر وسوء التغذية يعتبر أمر لا يمكن قبوله من الناحية الأخلاقية والاجتماعية كما أنه أمر يتعارض مع كرامة الإنسان وحقه في الحياة وكسبه لنصيب من الدخل لكي يضمن الحياة الكريمة كما أن استمرار هذه الظاهرة مستقبلا يهدد الأمن الاجتماعي على المستوى الدولي.

ورغم الجهود المبذولة والمخططات المعتمدة للحد من الفقر وتوفير الغذاء لكافة أفراد المجتمع وحمايتهم من الجوع وتكافؤ الفرص مع إخوانهم في المجتمع إلا أن عدد الفقراء في العالم يزداد بوتيرة متسارعة لهذا لم تتحقق الآمال التي كانت منتظرة من تلك الجهود العالمية في مجال تحسين الغذاء وتوفيره والتقليل من نسبة الفقراء في العالم، رغم الشعارات التي تطلقها المنظمات الدولية سنويا من خلال المؤتمرات الدولية التي تعقدتها في سبيل التخفيف من حدة الفقر والعمل على توفير الغذاء لشعوب العالم كما ونوعا

إذا بقي العالم مهدد بالانهيار وعدم الاستقرار من جراء الأوفاه الجائعة في العالم، وبقيت بشكل خاص البلدان النامية معرضة لنقص الغذاء وانخفاض مستويات الدخل الفردية واتساع دائرة الفقر في تلك الدول.

ومسؤولية الفقر على الدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء إذ تعطي الأولوية للتصنيع على حساب القطاع الزراعي مما يزيد من تبعية بلدان العالم الثالث للبلدان المتقدمة في السلع الغذائية.

والفقر يؤثر سلبا على التنمية البشرية نتيجة ظهور الأمراض خاصة منها الأمراض المزمنة، وزيادة عدد الوفيات من الأطفال وانتشار ظاهرة التقزم لدى الأطفال قبل سن الدراسة، وكل هذا نجده يعرقل عملية التنمية ولا يسمح للأفراد بامتلاك قدرات جسمانية وفكرية تساعد على الوصول بقاطرة التقدم.

## تمهيد:

يواجه العالم مشكلة الجوع وسوء التغذية منذ سنوات عديدة، حيث تتفاقم ظاهرة الفقر من عقد لآخر، واستمرار الفقر وسوء التغذية يعتبر أمر لا يمكن قبوله من الناحية الأخلاقية والاجتماعية كما أنه أمر يتعارض مع كرامة الإنسان وحقه في الحياة وكسبه لنصيب من الدخل لكي يضمن الحياة الكريمة كما أن استمرار هذه الظاهرة مستقبلاً يهدد الأمن الاجتماعي على المستوى الدولي.

ورغم الجهود المبذولة والمخططات المعتمدة للحد من الفقر وتوفير الغذاء لكفالة أفراد المجتمع وحمايتهم من الجوع وتكافؤ الفرص مع إخوانهم في المجتمع إلا أن عدد الفقراء في العالم يزداد بوتيرة متسارعة لهذا لم تتحقق الآمال التي كانت منظرية من تلك الجهود العالمية في مجال تحسين الغذاء وتوفيره والتقليل من نسبة الفقراء في العالم، إذا بقي العالم مهدد بالانهيار وعدم الاستقرار من جراء الأفواه الجائعة في العالم، وبقيت بشكل خاص البلدان النامية معرضة لنقص الغذاء وانخفاض مستويات الدخل الفردية واتساع دائرة الفقر في تلك الدول.

ومسؤولية الفقر على الدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء إذ تعطي الأولوية للتصنيع على حساب القطاع الزراعي مما يزيد من تبعية بلدان العالم الثالث للبلدان المتقدمة في السلع الغذائية.

والفقر يؤثر سلباً على التنمية البشرية نتيجة ظهور الأمراض خاصة منها الأمراض المزمنة، وزيادة عدد الوفيات من الأطفال وانتشار ظاهرة النقرم لدى الأطفال قبل سن الدراسة، وكل هذا نجده يعرقل عملية التنمية ولا يسمح للأفراد بامتلاك قدرات جسمانية وفكرية تساعد على الوصول بفاطرة التقدم.

ومما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما مدى انعكاسات الفقر على عملية التنمية البشرية في البلدان النامية ؟

ويتم الإجابة على هذه الإشكالية من خلال الخطة التالية:

1. مفهوم الفقر.
2. أسباب الفقر.
3. مفهوم التنمية البشرية.
4. أساليب التنمية البشرية.
5. واقع التنمية البشرية في الجزائر.

**1- مفهوم الفقر:** يعد الفقر ظاهرة اجتماعية متعددة الجوانب والأبعاد فيقصد بالفقر النقص في الدخل والندرة في فرص العمل وعدم توفر العمل الآمن المستديم الذي يسمح للأفراد بالحصول الدائم والمستمر على الدخل.<sup>1</sup> ويرتبط الفقر بقضايا عديدة كالتنمية والإصلاحات الاقتصادية والبيئة... الخ. وقد تتعدد العوامل المؤدية إلى الفقر كنقص التغذية وسوء التغذية وتدهور البيئة إلا أن ظاهرة الفقر تساهم فيها كل تلك العوامل وتظهر على شكل نقص الدخل وعدم توفر فرص العمل.

ويعرف الفقر بأنه الحالة الذي لا يتحصل فيها الأفراد على دخل أقل من الدخل اللازم للحصول على الحد الأدنى من الحاجات الأساسية، وعلى ذلك فإن أي شخص يقل دخله أو استهلاكه عن الحد الأدنى للحصول على الحاجات الأساسية والذي يسمى بخط الفقر يمد فقيرا.<sup>2</sup>

فإذا كان الفرد لا يتوفر على دخل يسمح له باقتناء الحد الأدنى من حاجيات الأساسية، فيعد بذلك فقيرا فنجد أن المعيار الأساس لتحديد الفقر هو وفرة الدخل وليس أي بل الدخل الذي يقي الأفراد من دخولهم تحت خط

- إسماعيل سراج الدين محسن يوسف، الفقر والأزمة الاقتصادية إصدار مركز ابن خلدون بالاشتراك، دار الأمين للنشر والتوزيع، 1998، ص 13.<sup>1</sup>

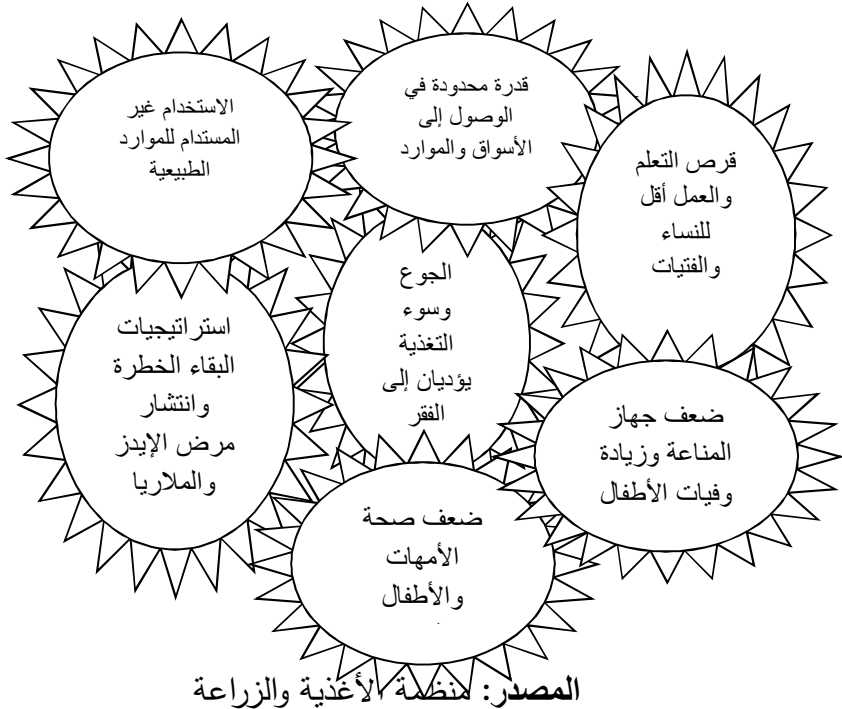
- محمد عبد العزيز عمية، إيمان عطية ناصف، التنمية الاقتصادية دراسات نظرية وتطبيقية، قسم الاقتصاد، كلية التجارة جامعة الإسكندرية،<sup>2</sup> 2003، ص 81.

الفقر، وذلك لضمان الحد الأدنى من المعيشة والمحافظة على كرامة الإنسان واحترام حق الإنسانية في الحياة.

كما أن هناك ما يسمى بفجوة الفقر وتعرف بأنها النسبة المئوية للفرق بين دخول الفقراء وخط الفقر وكلما زادت فجوة كان ذلك دليل على زيادة حدة الفقر.<sup>1</sup>

**2- أسباب الفقر:** من الأسباب الرئيسية لظاهرة الفقر في العالم هو انتشار الجوع ونقص وسوء التغذية وذلك من جراء الانتشار الكبير للباطلة وانعدام فرص العمل خاصة في العالم النامي بسبب قلة الموارد الاقتصادية وعدم توفر فرص الاستثمار وذلك نتيجة عدم توفر الإمكانيات وقلة المعلومات حول مجالات الاستثمار.

والفقر يجر عربة ج.... مع الحرمان والمعاناة تظهر من خلال الشكل التالي:



<sup>1</sup> - محمد عبد العزيز عجمية، إيمان ناصف، مرجع سابق، ص 81.

ويتم تلخيص أسباب الفقر فيما يلي:

- قدرة محدودة في الوصول إلى الأسواق والموارد.
- الاستخدام غير المستدام للموارد الطبيعية.
- إستراتيجيات البقاء الخطرة وانتشار مرض الإيدز والملاريا وغيرها من الأمراض.
- ضعف صحة الأمهات والأطفال والرضع.
- ضعف هاز المناعة وزيادة وفيات الأطفال.
- فرص التعلم والعمل أقل للنساء والفتيات.
- قلة الانتظام في المدرسة وقدرات التعلم.

### 3- مفهوم التنمية البشرية:

لقد احتل موضوع التنمية البشرية المراتب الأولى في أولويات الدول وذلك لما يمثل على مستوى التنمية الاقتصادية.

وتعرف التنمية البشرية بأنها "عملية توسيع القدرات البشرية والانتفاع بها"<sup>1</sup>، ويتجلى من هذا التعريف أن محور التنمية البشرية يرتكز على تنمية وتطوير القدرات والمهارات البشرية والعمل على استغلالها استغلال عقلانيا يعود بالنفع على أفراد المجتمع.

وبالتالي نستنتج أن التنمية البشرية تشمل جانبين الأول يخص تكوين القدرات والمهارات الفنية للأفراد بينما الجانب الثاني يخص مجال الاستفادة والاستغلال لتلك القدرات.

ويتأتى تكوين القدرات على مستوى التنمية البشرية من خلال النظر إلى العنصر البشري على أنه رأس مال حقيقي قابل للاستثمار في مجالات عديدة كالتعليم والصحة والتغذية والتدريب بينما الجانب الثاني يركز على الاستفادة

- عبد القادر محمد عبد القادر عطية، اتجاهات حديثة في التنمية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ص 49.<sup>1</sup>

الكاملة من هذه القدرات فيما ينفع الإنسان، بحيث يتم استخدام القدرات البشرية في زيادة الطاقة الإنتاجية للمجتمع، واستغلالها في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

وبالتالي فإن الإنسان هو محور عملية التنمية فهو وسيلتها وهدفها في آن واحد.

ويعتبر مدخل التنمية البشرية مدخلا مختلفا عن غيره من مداخل التنمية فمدخل الدخل ينظر إلى النمو الاقتصادي على أنه حدوث زيادة في متوسط الدخل الحقيقي في حين نجده لا يحدد طبيعة وكيفية توزيع هذه الزيادة في الدخل بين طبقات المجتمع، كما أنه لا يتعرض إلى التحسن الحاصل في نوعية الحياة البشرية، ومن ثم فلا يوجد هناك ما يضمن ترجمة النمو الاقتصادي إلى تنمية بشرية بطريقة آلية فليس كل نمو اقتصادي يؤدي حتما إلى القدرات والمهارات البشرية، فهناك أفراد لديهم دخول مرتفعة وقدرات بشرية محدودة، كأن يكون غير متعلم أولا يتمتع بصحة جيدة.

أما مدخل تنمية الموارد البشرية فينظر للإنسان على أنه رأس مال وعنصر من عناصر الإنتاج.

ويقوم الاستثمار في رأس المال البشري بدلالة الدخل الإضافي الذي يولده هذا الاستثمار ويتم الحجم على جدواه من خلال مقارنة معدل عائد الاستثمار البشري مع معدل تكلفة رأس المال.

بينما مدخل التنمية البشرية يحكم على جدوى برامج الاستثمار في تلك المجالات (الصحة، التعليم، التغذية) من خلال تأثيرها على مقدرة الناس على القراءة والتعلم وتأثيرها على مستوى التغذية لديهم وتأثيرها على مستوى الأفراد الصحي، وبالتالي نجد أن مدخل التنمية البشرية ينظر للإنسان كوسيلة وكهدف بينما مدخل تنمية الموارد البشرية فهو ينظر إلى الإنسان كوسيلة فقط.

كما يختلف مدخل التنمية البشرية عن مدخل الرفاهية فهذا الأخير ينظر للأفراد كمنتفعين من عملية التنمية وليسوا كأفراد فاعلين في إحداثها، بحيث تتوقف عليهم عملية التنمية.

فالتنمية على أساس مدخل الرفاهية تعني زيادة رفاهية الأفراد بغض النظر عن كيفية حدوث هذه الزيادة (قد يحدث نتيجة زيادة الإنفاق الحكومي). بينما مدخل الحاجات الأساسية يركز على عملية إمداد الطبقات المحرومة بالسلع المادية والخدمات الأساسية أي توفير الحاجات الأساسية للفئات التي تكون بحاجة ماسة لها، ولا تشرك الأفراد في كيفية توفير تلك الحاجات فالتنمية البشرية لا تعني إعطاء سمكة لكل فرد وإنما تعني تعليم كل فرد كيف يصطاد.

مما سبق نستخلص المقومات الأساسية للتنمية البشرية وهي:<sup>1</sup>

- **الإنتاجية:** من الضروري زيادة قدرات الأفراد التعليمية والصحية والتدريبية حتى تزداد الإنتاجية ويزداد الدخل وتزداد القدرة على إشباع الحاجات.
- **العدالة:** وهي أن تتاح أمام جميع الأفراد فرص متساوية للمساهمة في صنع التنمية والاستفادة من ثمارها وهو ما يكفل عدالة التوزيع.
- **الاستمرارية:** وتعني إتاحة الفرص المتساوية ينبغي أن تكون دائمة ومستمرة عبر الأجيال الحالية والمستقبلية، وهذا يستدعي ضرورة المحافظة على البيئة للأجيال القادمة، ومن ثم التنمية لا تعني الاستنزاف المفرط وغير العقلاني للثروات.
- **المشاركة:** ويقصد بها مشاركة الأفراد في اتخاذ القرارات التي تشكل حياتهم حتى تكون التنمية لهم وبهم.

#### 4- أساليب التنمية البشرية:

1- عبد القادر محمد عبد القادر عطية، مرجع سابق، ص 52.

يقصد بأساليب التنمية البشرية مجموعة الطرق والأساليب التي من خلالها يتم مزج العناصر فيما بينها للحصول على منتج ما بينما في مجال التنمية البشرية فإن الأسلوب يشير إلى الطريقة التي يتم وفقا لها مزج عناصر التنمية البشرية المتمثلة في التعليم، الصحة، التدريب، والتغذية من أجل بلوغ مستوى معين من التنمية البشري.

• **التعليم والتنمية:** يعد التعليم مؤشر هام في عملية التنمية إذ يأتي كثافي أهم عنصر يؤثر في النمو الاقتصادي بعد التقدم التكنولوجي، حيث أجريت دراسات في بعض الدول كالبرازيل وكوريا وتايوان توصل من خلالها أن زيادة متوسط سنوات التعليم لمجموعة أفراد القوة العاملة بسنة واحدة يؤدي إلى زيادة الناتج الحقيقي بنسبة 20%،<sup>1</sup> فالتعليم له أثر إيجابي على عملية التنمية بحيث يسمح للأفراد بالتواصل الجيد والفعال كما يتيح لهم فرص اكتساب المعارف والمعلومات التي يكون لها أثر إيجابي على مردودية الأفراد ومساهماتهم في زيادة الدخل.

ونستخلص مما سبق أن هناك علاقة سببية بين التعليم والتنمية لكن هذه العلاقة ليست علاقة ميكانيكية بل هناك شروط أخرى ينبغي توفرها حتى تحقق تلك العلاقة.

• **الصحة والتنمية:** هناك علاقة سببية تبادلية بين الصحة والتنمية، بحيث الصحة عامل أساس في عملية التنمية فالتدهور الصحي ونقص التغذية يجعل الأفراد غير قادرين على القيام بالأعمال والمهام المسندة إليهم، فالصحة الجيدة وتوفر الرعاية الصحية اللازمة يعطي للأفراد المقدر على العمل لمدة أطول ون ثم يزيد حجم الإنتاج والإنتاجية لأن عدم توفر مقومات الحصاة الجيدة تساعد على انتشار الأمراض ونقص المناعة لدى الأفراد خاصة عند الأمهات والأطفال وهذا ما يؤدي

<sup>1</sup> - عبد القادر محمد عبد القادر عطية، مرجع سابق، ص 85.



ظهور حالات الإجهاض المبكر لدى الأمهات ارتفاع نسبة الوفيات عند الأطفال نتيجة نقص الرعاية الصحية.

### 3- التغذية والتنمية:

تعتبر التنمية مقوم هام من مقومات التنمية فالتغذية السليمة من خلال توفر الأغذية الضرورية التي تحتوي على البروتينات والفيتامينات وغيرها من العناصر التي تسمح بالنمو السوي للجسم والعقل.

فتشير تقديرات البنك الدولي إلى وجود أكثر من 1,2 مليون فرد في العالم لا يتوفر لكل منهم دولار واحد في اليوم أو أقل للحصول على الغذاء والسكن ومتطلبات الحياة الأساسية الأخرى.<sup>1</sup>

ونقص التغذية يؤثر سلبا على عملية التنمية، حيث يزيد من انتشار الأمراض والأوبئة وانخفاض إنتاجية الأفراد.

وعدم توفر الغذاء يرجع سببه الرئيسي إلى زيادة عدد السكان في العالم ونقص وتدهور المساحات المزروعة، حيث حتى سنة 2000 سجل تدهور ما يقارب 2 بليون هكتار من الأراضي الزراعية<sup>2</sup>، وكل هذا يزيد من درجة الجوع الذي يؤدي حتما إلى ارتفاع وطئة الفقر في العالم.

### 4- البيئة والتنمية:

إنه من الضرورة المحافظة على بيئة سليمة ومتوازنة من أجل تحقيق التنمية، فالتلوث البيئي من خلال استخدام المبيدات السامة ومختلف الأساليب التكنولوجية وكذلك انتشار الغازات السامة في الهواء يؤثر على حياة الأفراد وصحتهم وغذائهم ومن ثم على تحقيق التنمية كما يساهم زيادة عدد السكان في تلوث البيئة، خاصة في البلدان النامية مما يولد ظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة إذ أصبحت المدن مكتظة بالسكان وهذا الاكتظاظ يكون على

- محمود الأشرم، اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء، المركز العربي التعريب والترجمة والتأليف والنشر،

2003، دمشق، ص 363.<sup>1</sup>

<sup>2</sup>- نفس المرجع السابق، ص 365.

حساب اقتطاع جزء من الأراضي الزراعية وتقدر المنظمة العالمية للتغذية أنه حوالي 1,4 بليون هكتار تم اقتطاعها من الأراضي الزراعية نتيجة التوسع العمراني خلال الفترة 1980-2000 وهذه العملية تؤثر سلبا على مستوى التنمية حاليا ومستقبلا.

كما نجد أن التدهور البيئي يساهم فيه المجتمع الفقير إلى جانب المجتمع الغني وذلك لأن حياة الفقراء نجدها تتوقف بشكل رئيسي على الموارد الطبيعية التي يستخدمها لتأمين حاجاتهم اليومية لاستمرار الحياة بشكل متوازن كالغناء والطاقة والماء والسكن ويعتبر من البداهة بمكان أن يستخدم الأفراد جميع مواردهم المتوفرة لبقائهم على قيد الحياة، نظرا لفقدانهم كافة الوسائل الأخرى لتأمين سبل الحياة.

زيادة وطئة الجوع تؤدي إلى اتخاذ إستراتيجيات يائسة للبقاء على قيد الحياة، وبالتالي فإن صيانة مواردهم للمستقبل ولأولادهم أقل أهمية من استخدامها لأنفسهم.

##### 5- واقع التنمية البشرية في الجزائر:

من خلال الدراسة التي قام بها المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي خالص هذا الأخير إلى أن مؤشر الفقر في الجزائر تراجع بين 1995 و 2005 من 25,23% إلى 16,60%.

كما أن عدد السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر الغذائي انخفض حيث 3,6% من عدد السكان الذين كانوا يعيشون تحت خط الفقر الغذائي سنة 1988 نزل إلى 1,6% سنة 2004.

كما انخفض عدد السكان الذين يعانون من الفقر الشامل من 3,98 مليون جزائري سنة 1995 إلى 2,2 مليون سنة 2004 وانخفاض عدد الذين يعيشون بدولار واحد في اليوم.

أما في مجال الغذاء فتوصلت دراسة للدراسات والتحليل للسكان والتنمية إلى أن 58,22% من ميزانية الأسر تذهب التغذية بحيث تتوزع على الحبوب بنسبة 25,46%، والخضار الجافة بنسبة 13,68%، والحليب ومشتقاته بنسبة 13,68% أما اللحوم والأسماك والفواكه فهي مخصصة لأقلية فقط من المواطنين، وهو ما يجعل الغذاء الرئيسي لغالبية المواطنين الجزائريين يتكون من الحبوب الجافة، والحليب ومشتقاته وبدرجة أقل البيض هذه هي وضعية الفقر بصفة عامة، ووضعية الفقر الغذائي للجزائريين بصفة خاصة، وسببها الأول انتشار البطالة بنسبة كبيرة، كما تضاعفا عدد العمال الفقراء، وهذا يعني أن ثمار النمو الاقتصادي لم توزع بطريقة عادلة واستفادت منها شرائح غير الأجراء وخاصة المقاولين.

أما فيما يخص التعليم والت مدرس فقد أصبح قطاع التربية يمثل عبئا كبيرا على الأسر الجزائرية إذ سجلت المدرسة نسبة مردودية داخلية غير كافية، التسرب المدرسي بلغ مستويات عالية جدا، حيث نجد أن 23% فقط من بين المتمدرسين تصل إلى التعليم العالي أي 1/4 المتمدرسين وهو ما يعني 3/4 لا يصلون إلى مرحلة العليا من التعليم.

### خلاصة:

نستخلص مما سبق أن هناك علاقة وطيدة بين الفقر والتنمية البشرية ففي غياب تحقق الرباعية التنمية (تعليم، صحة، تغذية، بيئة)، لا يمكن بلوغ مستويات عالية في مجال التنمية البشرية لأن الفقر يحدث نتيجة عدم بلوغ مستويات مقبولة من تلك العناصر، وحتى يتم الحد من الفقر وتحقيق الأهداف الإنمائية للتنمية البشرية لابد من:

- ضرورة دعم سياسة مجانية التعليم وإجباريته.
- تطوير المناهج والأساليب التعليمية حسب ما يتماشى التطورات الدولية.

- توفير الرعاية الصحية اللازمة لأفراد المجتمع خاصة الأطفال والأمهات.
- التكفل الكامل بالأشخاص المصابين بالأمراض المزمنة وبفئة المعاقين.
- زيادة بناء المراكز الصحية الاستشفائية ومراكز شبه الطبي.
- رفع مستويات الدخول لدى الأفراد.
- توفير الغذاء الصحي.
- وضع مخططات لحماية البيئة.
- الحد من مصادر التلوث البيئي.
- تنمية وتطوير الزراعة خاصة الزراعي الغذائية.

### قائمة المراجع

1. إسماعيل سراج الدين محسن يوسف، الفقر والأزمة الاقتصادية إصدار تمركز ابن خلدون بالاشتراك، دار الأمين للنشر والتوزيع، 1998.
2. عبد القادر محمد عبد القادر عطية، اتجاهات حديثة في التنمية، الدار الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999.
3. محمد عبد العزيز عمية، إيمان عطية ناصف، التنمية الاقتصادية دراسات نظرية وتطبيقية، قسم الاقتصاد، كلية التجارة جامعة، الإسكندرية، 2003.
4. محمود الأشرم، اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء، المركز العربي التعريب والترجمة والتأليف والنشر، 2003.